٢ ــ بدايع الصراع

لقد كانت حادثة اسقاط طائرة الاستطلاع (يو ٢) الاميركية فوق سماء الاتحاد السوفياتي بواسطة صاروخ سوفياتي مضاد (سام ٢) في سنة ١٩٦٠ ، بمثابة اعلان ميلاد هذا الصراع الدرامي الجديد . وقد كشفت هذه الحادثة التي اثارت في حينها لغطا وتساؤلات وتكهنات كثيرة عن قدرة الصاروخ المضاد الموجه على اسقاط طائرة تحلق على ارتفاع عال (حوالي ١٨٠٠٠ متر فوق سطح البحر) . ووقعت المواجهة الثانية بين الطائرة والصاروخ في فيتنام ، وقد تميزت هذه المواجهة بأنها أول مواجهة واسعة النطاق استمرت مدة طويلة ، وكان من نتيجتها اسقاط اعداد ضخمة من الطائرات الاميركية بواسطة الصواريخ السوفياتية من طراز « سام ــ ٢ » التي تمكن ثوار الفيتكونغ من الحصول عليها . كما تميزت بكونها اول مواجهة بين الالكترونيات والالكترونيات المضادة خلال صراع يجري بين قوة تكنولوجية متفوقة وشعب فقير متخلف ، استطاع أن يخوض هذا الصراع بأساليب مضادة مبتكرة ،وان ينتصر فيه ، خصوصا وان الترسانة الاميركية الالكترونية التي استخدمت في فيتنام طورت خصيصا لتغطية احتياجات جيش يقوم بمكافحة حرب عصابية ثورية . وتميزت أيضا بكونها اعطت سمة مميزة للاسلحة الحديثة المضادة للحرب العصابية ــ ومنها الطائرة ــ أشار اليها البروفيسور اليوغوسلافي فلاديمير ديديجر (الضابط السابق في جيش العصابات الذي كان يقوده تيتو خلال الحرب العالمية الثانية) في مقاله « قوة الفقراء »(١)، وهي انه برغم كل التحسينات التقنية التامة لاجهزتها الالكترونية فان هذه الاسلحة الحديثة تعطي دوما انطباع عدم دقة كبير ، وارادة تدمير عمياء ، مما يثبت ان شكل الحرب العصابية لها كل فرص البقاء والاستمرار مهما تكن الاسلحة المستخدمة ضدها . ومن أمثلة الصراع التي ظهرت في فيتنام ما يلي :

١ ــ بعد دراسة نقاط ضعف صاروخ « سام ــ ٢ » ، تعلم طيارو قاذفات القنابل الاميركية كيف يفلتون منه بتنفيذ حركة جوية تشبه حرف « S » وتسمى بحركة « S » الناقصة Split S maneuver، وقد استفاد ثوار الفيتكونغ من هذه الحركة في اسقاط عدد كبير من القاذفات وذلك عن طريق اطلاق عدد من الصواريخ باتجاه القاذفات المغيرة التي سرعان ما تقوم بتنفيذ الحركة المذكورة لتجد سدودا كثيفة من النيران المضادة في استقبالها عند نهاية الحركة .

٢ ــ وعندما طور الاميركيون اسلوبا للتشويش على أجهزة توجيه « سام ــ ٢ » الرادارية ، لجأ الثوار الى اسلوب مضاد بسيط يتلخص في أنهم يقومون بتشغيل أجهزة تحديد الهدف الرادارية الملحقة ببطاريات الصواريخ المذكورة لمدة ثوان قليلة تكفي لتوجيه الصاروخ نحو الهدف بينما لا تكفي لكي تقوم الطائرات المغيرة بالتشويش عليها بوسائلها الالكترونية المضادة ، كما لجأ الثوار الى تنفيذ اسلوب اخر متطور ــ سبب قلقا شديدا للدوائر الاميركية ــ يعتمد على استبدال أجهزة التوجيه الرادارية في عدد من بطاريات صواريخ « سام ــ ٢ » بأجهزة متابعة بصرية : ويشبه جهاز المتابعة البصرية هذا منظار البندقية القناصة ، وما على الرامي في هذه الحالة سوى متابعة الطائرات المغيرة بواسطة المنظار وابقائها في دائرة الهدف ، الامر الذي يستدعي تحريك المنظار صعودا وهبوطا او من جانب الى جانب ، واثناء اجراء حركات المتابعة هذه يتم تغذيتها الى عقل الكتروني ملحق وظيفته ترجمة هذه الحركات وتحليلها وتحويلها الى بيانات تفيد في توجيه الصاروخ الى هدفه . وبالرغم من أن دقة جهاز المتابعة البصري أقل من دقة جهاز الرادار ، فقد كانت دقته مرضية، بالاضافة الى كونه غير قابل للتشويش او التضليل بالوسائل الالكترونية المضادة .